

صنع الله الذي اتقن كل شيء

(هذه)

رسالة في فضيلة العلوم والصناعات

للحكيم ابي نصر محمد بن محمد

ابن طرخان الفارابي رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى

سنة تسع وثلا

وثلاث مائة

الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمدينة

حيدرآباد الدكن سنة (١٣٤٠) هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قال ابو نصر محمد بن محمد الفارابي رحمه الله — فضيلة العلوم و الصناعات انما تكون باحدى ثلاث — اما بشرف الموضوع — و اما باستقصاء البراهين واما بعظم الجدوى الذى فيه سواء كان منتظراً او محتضراً — اما ما يفضل على غيره اعظم الجدوى الذي فيه فكالعلوم الشرعيه و الصنائع المحتاج اليها في زمان زمان و عند قوم قوم — و اما ما يفضل على غيره لاستقصا البراهين فيه فكالهندسة — و اما ما يفضل على غيره لشرف موضوع فكعلم النجوم — وقد يجتمع الثلاثة كلها او الاثنان منها في علم واحد كالعلم الالهى

فصل

قد يحسن ظن الانسان بالعلم الواحد فيظنه اكثر و احسن و احب

واوضح

و اوضح مما هو فذلك اما التقصير و نقص يكونان في طبعه فلا تقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم و اما لانه لم يبلغه مايعانده الذي عنده — و اما لفضيلة المستنبطين له والمتمسكين به — و اما لكثرتهم — و اما الحرص الانسان على نيل مايرجو انه يحصل من ذلك العلم و جلالة فائدته و عموم النفع فيه لو صح وتحقق — واما الاجتماع اكثر هذه الاسباب فيه و قد يخرج مثل هذا الظن الانسان الى قبول ماليس بكلي على انه كلي و ماليس بمنتج من القياسات على انه منتج وماليس ببرهان على انه برهان ❊

فصل

اذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر ان شيئا ثالثا هو سبب لاحدهما فان الوهم يسبق ويحكم بانه ايضاً سبب للآخر فذلك لا يصح في كل متشابهين اذ التشابه قد يكون لعرض من الاعراض وقد يكون بالذات و القياس الذي يتركب في الوهم فيوجب ما ذكر انه قياس مركب من قياسين — ومثال ذلك ان الانسان مشاء والانسان حيوان والمشاء حيوان والفرس شبيه بالانسان في انه مشاء فهو ايضاً حيوان و هذا لا يصح في جميع المواضع اذ الققنس ابيض وهو حيوان والاسفيداج ابيض لكنه ليس بحيوان ❊

فصل

امور العالم واحواله نوعان (احدهما) امور لها اسباب عنها تحدث وبها توجد كالحرارة عن النار و عن الشمس توجد للاجسام المجاورة والمحاذية لهما وكذلك سائر ماشبههما (والنوع الآخر) امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة كموت انسان او حياته عند طلوع الشمس

او عند غيرها * فكل امر له سبب معلوم فانه معد لان يعلم و يضبط و يوقف عليه * وكل امر هو من الامور الاتفاقية فانه لا سبيل الى ان يعلم و يضبط و يوقف عليه البتة بجهة من الجهات — والاجرام العلوية علل و اسباب لتلك وليست بعلل و اسباب لهذه *

فصل

لو لم تكن في العالم امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة لا رتفع الخوف و الرجاء و اذا ارتفعا لم يوجد في الامور الانسانية نظام البتة لا في الشرعيات و لا في السياسيات لانه لولا الخوف و الرجاء لما اكتسب احد شيئا لغده و لما اطاع مرؤوس لرئيسه و لما اغنى رئيس مرؤوسه و لما احسن احد الى غيره و لما اطيع الله و لما قدم معروف — اذ الذي يعلم جميع ما هو كائن في غد لا محالة على سكون ثم يسعى سعيا فهو عابث احمق يتكلف بما يعلم انه لا ينتفع به *

فصل

كل ما يمكن ان يعلم او يحصل قبل وجوده بجهة من الجهات فهو كالعلوم المحصلة و ان عاقت عنه عوائق او تراخت به المدة — و اما ما لا يمكن ان يكون به تقدمة معرفة فذلك الذي لا يرجى الوقوف عليه الا بعد وجوده *

فصل

الامور الممكنة التي وجودها ولا وجودها متساويان ليس احدهما اولى من الآخر لا يوجد عليها قياس البتة اذ القياس انما يوجد له نتيجة واحدة فقط اما موجبة و اما سالبة و اي قياس ينتج الشيء و ضده فليس يفيد

علما لانه انما يحتاج الى القياس ليفيد علما بوجود الشيء فقط او لا وجوده من غير ان يميل الذهن الى طرفي النقيض جميعا بعد وجود القياس اذ الانسان من اول الامر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل احدهما فاي فكر او قول لا يحصل احد طرفي النقيض ولا ينفي الآخر فهو هدر وباطل *

﴿ فصل ﴾

التجاريب انما ينتفع بها في الامور الممكنة على الاكثر لا غير * واما الضروريات والممتنعات) فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل * واما الجزم فقد ينتفع به في الامور الممكنة في الندرة وفي التي على التساوي *

﴿ فصل ﴾

قد يظن بالافعال والآثار الطبيعية انها ضرورية كالاحراق في النار والترطيب في الماء والتبريد في الثلج وليس الامر كذلك لكنها ممكنة على الاكثر لاجل ان الفعل انما يحصل باجتماع معنيين (احدهما) تهيؤ الفاعل للتأثير (والآخر) تهيؤ المنفعل للقبول فمهما لم يجتمع هذان المعنيان لم يحصل فعل ولا اثر البتة — كما ان النار وان كانت محرقة فانها متى مالم تجد قابلا متهيأ الاحتراق لم تحصل الاحتراق — وكذلك الامر في سائر ما اشبههما : وكلما كان التهيؤ في الفاعل والقابل جميعا اتم كان الفعل اكمل * ولولا ما يعرض من التمنع في المنفعل لكانت الافعال والآثار الطبيعية ضرورية *

فصل

لما كانت الامور الممكنة مجهولة سمي كل مجهول ممكنا وليس الامر كذلك اذ العكس في هذه القضية غير صحيح على المساواة لكنه على جهة الخصوص والعموم فان كل ممكن مجهول وليس كل مجهول بممكن ولاجل الظن السابق الى الوهم ان المجهول ممكن صار الممكن يقال بمعنيين احدهما ماهو ممكن في ذاته والآخر ماهو ممكن بالاضافة الى من يجهله وصار هذا المعنى سبباً لغلط عظيم و تخليط مضر حتى ان اكثر الناس لا يميزون بين الممكن والمجهول ولا يعرفون طبيعة الممكن *

فصل

ان اكثر الناس الذين لا حنكة (١) لهم بالموجودات والامور المجهولة بحثوا عنها وطلبوا علمها ونقروا عن اسبابها حتى توصلوا الى معرفتها وصارت لهم معلومة فاحسنوا الظن بما هو ممكن بطبعه وظنوا انه انما يجهلونه لقصورهم عن ادراك سببه وانه سيوصل الى معرفته بنوع من البحث والتفتيش ولم يعلموا ان الامر في طبيعته ممتنع لان يكون به تقدمة معرفة البتة بجهة من الجهات اذ هو ممكن الطبيعة وما هو ممكن فهو بطبعه غير محصل ولا محكوم عليه بوجوده اولا وجوده *

فصل

الاسماء المشتركة قد تصير سبباً للاغلاط العظيمة فيحكم على اشياء بما لا يوجد فيها لاجل اشتراكها في الاسم مع ما يصدق عليه ذلك الحكم كالاحكام النجومية . فان قولنا الاحكام النجومية مشتركة لما هي

(١) الحنكة بالضم التجربة ١٢ محيط المحيط ولسان العرب

ضرورية كالحسابيات والمقاديريات منها * ولما هي ممكنة على الاكثر كالتاثيريات الداخلة في الكيف * ولما هي منسوبة اليها بالظن والوضع وبطريق الاستحسان والحسبان * وهذه في ذواتها مختلفة الطباع وانما اشتراكها في الاسم فقط * فان من عرف بعض اجرام الكوكب وابعادها ونطق بذلك فقد يقال انه حكم بحكم نجومي فذلك داخل في جملة الضروريات اذ وجوده ابدا كذلك * ومن عرف ان كوكباً من الكواكب كالشمس مثلا اذا حاذت مكانا من الامكنة فانه يسخن ذلك المكان ان لم يكن هناك مانع من جهة قابل السخونة ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الممكنات على الاكثر * ومن ظن ان الكوكب الفلانى متى قارن او اتصل بالكوكب الفلانى استغنى بعض الناس او حدث به حادث ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الامور الظنية والاستحسانية والحسبانية * وطبيعة كل حكم من هذه الاحكام مخالفة للطبيعة الباقية فاشتراكها انما هو في الاسم فقط وكذلك قد يلتبس ويشتبه الامر فيها على اكثر الناس اذ هم غير محتنكين ولا متدربين ولا مرتاضين بالعلوم الحقيقية اعني الضرورية البرهانية *

﴿ فصل ﴾

مشاهدات الاجرام المضيئة العلوية مؤثرة في الاجرام السفلية بحسب قبول هذه منها كما يظهر من حرارة ضوء الشمس وكثرة ضوء القمر وضوء الزهرة وما يظهر من فعلها انما هو بتوسط اضوائها المبثوثة (١) لا غير *

(١) المبثوث المبسوط والمنتشر ١٢ محيط المحيط

﴿ فصل ﴾

القدماء مختلفون في الاجرام العلوية هل هي بذواتها مضيئة ام لا فبعضهم قالوا ليس في العالم جرم مضيئ بذاته سوى الشمس وكل ما سواها من الكواكب يستضيئ منها واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة فانهما يكسفان للشمس حيث حالتا فيما بينها وبين البصر * وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وان السيارة مستضيئة من الشمس فعلى اي هاتين الجهتين كانت فان تأثيرها بتوسط اضوائها الذاتية او المكتسبة غير مستنكر ولا مدفوع *

﴿ فصل ﴾

معلوم ان الكواكب متى استجمعت انوارها مع ضوء الشمس على جسم من الاجسام السفلية اثرت فيه اثرا مخالفا للمؤثر عند انفرادها عنه وذلك مختلف بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والازيد والانقص وبمقدار تهيؤ ذلك الجسم في الازمنة المختلفة لقبول ذلك الاثر * وايضاً فان بين الاجسام تفاوتا في القبول * وهذه هي الخواص التي موجودة وفاعلة وان كانت غير مضبوطة بمقاديرها وهيآتها على الاستقصاء والاستيفاء *

﴿ فصل ﴾

العلل والاسباب اما ان تكون قريبة واما ان تكون بعيدة (والقريبة) معلومة مدركة مضبوطة على اكثر الامور * وذلك مثل حمي الهواء من انبثاث ضوء الشمس فيه (والبعيدة) قد يتفق ان تصير مدركة معلومة مضبوطة * وقد تكون مجهولة فالمضبوطة المدركة منها كالقمر يمتلئ ضوأ وسامت بحرا فيمتد فيسقي الارض فينبت الكلأ

فيرتمها الحيوان فيسمن فيربح عليها الانسان فيستغني و كذلك ماشبهها *

﴿ فصل ﴾

لا تستنكر ان يحدث في العالم امور لها اسباب بعيدة جداً فلا تضبط لبعدها فيظن بتلك الامور انها اتفاقية و انها من حيز الممكن المجهول. مثل ان تسامت الشمس بعض الاماكن الندية فترتفع عنها البخارات كثيرة فتنعقد منها سحائب وتمطر عنها امطار وتسكون بها اهوية فتتعفن بها ابدان فتعطب فيربح بهم اقوام فيستغنون غير الذى يزعم انه قد يوجد سبيل الى معرفة وقت استغناء هؤلاء القوم ومقداره * وجهته من غير اقتفاء السبيل الذى ذكرت مثل تفاؤل اوعيافة اواستخراج حساب او مناسبة بين اجسام او اعراض فهو مدع ما لا يذعن له عقل صحيح البتة *

﴿ فصل ﴾

امور العالم واحوال الانسان فيها كثيرة و هي مختلفة فمنها خير و منها شر و منها محبوب و منها مكروه ومنها جميل و منها قبيح و منها نافع و منها ضار فاي و اضع وضع بازاء كثرة افعاله كثرة من امور العالم مثل حركات البهائم اواصوات الطيور اوكلمات مسطورة او فصوص معمولة اوسهام منشورة اواسام مذكورة اوكلمات من حركات النجوم و ما اشبه ذلك مما فيه كثرة فانه قد يصادف بين تلك الاحوال وبين ما وضع مما ذكر اي كثرة كانت مناسبة يقيس بها بين هذه و بين تلك * ثم قد تتفق فيها اشياء تعجب الناظر فيها و المتأمل بها الا ان ذلك لاعن ضرورة و لا عن وجوب ينبغي للعاقل ان يعتمدها و انما هو

اتفاق يركن اليه من كان في عقله ضعف اماذاتي او عرضي فالذاتي هو ما يكون في الانسان الغبي الذى لا تجارب معه امالصغر سنه واما لغباوة طبعه والعرضي هو ما يكون للانسان عند ما يغلب عليه بعض الآلام النفسانية مثل شهوة مفرطة او غضب مفرط او حزن او خوف او طرب او ما اشبه ذلك *

﴿ فصل ﴾

مزية حركات الاجرام العلوية والمناسبات التي بينها على ما سوى ذلك من اصوات الطيور وحركات البهائم وخطوط الاكتاف وجداول الاكف واختلاجات الاعضاء وسائر ما يتفائل ويتطير بها ومنها انما هو بمعنيين اثنين احدهما هو ان تلك الاجرام هي مؤثرة في الاجسام السفلية بكيفياتها فهى لذلك مظنون بها انها مؤثرة ايضا لاتصالاتها وانصرافاتها وظهورها وغيبوبتها وتقاربها وتباعدها والآخر انها ثابتة بسيطة شريفة بعيدة عن الفسادات *

﴿ فصل ﴾

ليت شعرى لما وجدت النغم التاليفية بعضها منافرة وبعضها ملائمة وبعضها اشد ملائمة وبعضها اشد منافرة ما الذى يوجب ان يكون حلول الكوكب في الدرجات التى تناسب في العدد تلك النغم ايضاحالها في المساعد والمناحس كذلك مع ما هو من المتفق عليه ان تلك الدرجات وتلك البروج انما هي بالوضع لا بالطبع وليس هناك البتة تغير وتخالف طبيعي *

﴿ فصل ﴾

الم تعلم ان الاستقامة و الاعوجاج و النقصان و الكمال التى تقال في مطالع البروج انما هي بالاضافة الى اماكن باعيانها لاجل تلك الاماكن لا انها في انفسها ذوات اعوجاج و استقامة وكمال ونقصان و سائر ما اشبهها * فاذا كان الامر كذلك فما الذى يوجب ان تكون دلالتها على الاجرام السفلية من الحيوانات والنباتات بحسب تلك التاثيرات التى قيل فيها و ان صح ذلك في ذواتها فهو يوجب شيئا غير ما هو داخل في التاثيرات الداخلة في باب الكيف *

﴿ فصل ﴾

من اعجب العجائب ان يمر القمر فيما بين البصر من اناس باعيانهم في موضع من المواضع فيستر بجرمه عنهم ضوء الشمس و هو الذى يسمى الكسوف فيموت لذلك ملك من ملوك الارض * و لو صح هذا الحكم و اطرد لوجب ان كل انسان اذا استتر بسحاب او اي جسم كان عن ضوء الشمس فانه يموت لذلك ملك من الملوك او يحدث في الارض حادث عظيم * و ذلك ما تنفر عنه طباع المجانين فكيف العقلاء *

﴿ فصل ﴾

بعدما اجتمع العلماء واولو المعرفة بالحقائق على ان الاجرام العلوية في ذواتها غير قابلة للتاثيرات و التكونات ولا اختلاف في طباعها فما الذى دعا اصحاب الاحكام الى ان حكموا على بعضها بالنحوسة وعلى بعضها بالسعادة ان كان مادعاهم الى ذلك الوانها وحركاتها البطيئة و السريعة فليس ذلك

بمستقيم في طريق القياس اذليس كل ما اشبه بعرض من الاعراض فانه يجب ان يكون شبيها به بطبعه وان صدر عن كل واحد منهما ما يصدر عن الآخر *

فصل

لو وجب ان يكون كل ما كان لونه من الكواكب شبيها بلون الدم مثل المريخ دليلا على القتال واراقة الدماء لوجب ان يكون كل ما لونه احمر من الاجسام السفلية ايضاً دليلا على ذلك اذهي اقرب منها و اشد ملاءمة * ولو وجب ان يكون كلما حركته سريعة اوبطيئة من الكواكب على التباطؤ والتسارع في الحوائج لوجب ان يكون كل بطيء و كل سريع من الاجرام السفلية ادل عليها اذ هي اقرب منها و اشبه بها و اشد اتصالا كذلك الامر في سائرها *

فصل

ما اعمى بصر من نظر في امر البروج فلما وجد الحمل به يبتدأ في تقديرها حكم انه يدل على رأس الحيوان و خصوصاً الانسان ثم لما كان الثور يتلوه حكم بانه يدل على العنق والاكتاف وكذلك الى ان انتهى الى الحوت حكم بانه يدل على القدمين * اما كان ينبغي ان ينظر بعينه السخينة وعقله المذهول الى الحوت وهو يتصل بالحمل والى القدمين وهما غير متصلتين بالرأس فيعلم ان حكمه غير مطرد في ذلك اذا عضاء بدن الحيوان موضوعة على الاستقامة و البروج على الاستدارة وليس بين المستقيم والمستدير مناسبة * لكن من اعظم المصائب ان الضرورة تدعو الى التفوه بمثل هذا الطعن الذى لا يدري هل الطعن اضعف ام المطعون غير ان الشر يدفع

بالشر

بالشر * ولولا ان الاشتغال بامثال هذه المقابلات والمعاندات مما يتعطل به الزمان لاثبت منها جملة *

فصل

من حكم بان زحل هو ابطأ الكواكب سيرا والقمر اسرعها سيراً لم ينقلب الحكم ان زحل اسرعها سيرا اذ مسافته اطول مسافات الكواكب سواها والقمر ابطأها اذ مسافته اقرب مسافات تلك *

فصل

هب ان القمر وسائر الكواكب ادلة على الامور والاحوال على ما وضعه اصحاب الاحكام فلم قالوا ان الامور التي يراد ان تكون خفية مستورة ينبغي ان تتعاطى في وقت الاجتماع لاضمحلال ضوء القمر اما علموا ان ضوء القمر على حالته لم يتغير ولم يلحقه زيادة ولا نقصان وانما ذلك بالقياس الينا لا غير * (وكذلك) ما قالوه في الامتلاء والاستقبال * ومهما لم يلحقه في ذاته تغير فما الذي يجب ان يلحق ذلك التغير ما هو دليل من الامور على ما وضع *

فصل

لما كانت الكواكب والشمس في ذواتها لا حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة باتفاق من العلماء فما معنى الاحتراق الذي ادعوا في الكواكب التي تقرب من الشمس * (وحيث) وضعوا الشمس دليلا على الملوك والسلاطين فلم لم يحكموا بان الكواكب التي هي دليل على نوع من انواع الناس مثل عطارد الذي وضعوه دليلا على الكتبة او على من يكون صاحب وجاهة اذا قرب من الشمس ان يكون له تمكن من السلطان

وقرب اليه و زلفى لكنهم جعلوا ذلك منحسة *

فصل

من ظن ان هذه تجارب عليها وجدت دلائل هذه الكواكب وشهادتها فليعمد الى سائر ما وضع وليقلبها مقلوبا في المواليد والمسائل والتحاويل فان وجد بعضها يصح وبعضها لا يصح على ما عليه حال ما وضع على ما وضع فيعلم ان ذلك ظن وحسبان واستحسان وغرور

فصل

لم ير احدوان كان من الاستهتار باحكام النجوم و الايمان بها واليقين فيها بغاية ليس وراءها غاية وهو يقطع امراً مما يهمه لاجل حكم يحكم له به وان عاين في طالع مولده اومسئلته جميع الشهادات التي بها يستدل وعليها يعول مثل اخراج مال اوترك حزم في حرب او اخذ زاد في سفر اوما اشبه ذلك * واذا كان الامر على هذا السبيل فما اشتغالهم بهذا الفن الا لاحدى ثلاث اما لتفكه وولوع واما لتكسب وتسوق وتعيش به واما لحزم مفرط وعمل بما قيل ان كل مقبول محذور منه — هذا آخر ما وجد من التذاكير بخط ابي نصر اثبتها لنفسي و كتبتها لك لتتأملها لان تنشط لذلك و الله الموفق *

قدتم طبع هذه الرسالة بعون الله تعالى في اواخر شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٤٠) هجرية في عهد الآصف السابع لا زالت شموس دولته طالعة و انوار افاداته لامعة بمطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن